

**BETWEEN EDEN AND ARMAGEDON**  
The future of world religions, violence and peacemaking  
By Marc Gopen, New York, Oxford University, 2001, PP312

ما بين جنة عدن وجحيم ارمجدون  
مستقبل أديان العالم، العنف، وصناعة السلام

عبد الرحمن النقيب\*

والمؤلف هو أستاذ مساعد بمركز الدراسات الاستراتيجية والدولية بواشنطن كما يدرس بكلية فلتشر للدبلوماسية والقانون بجامعة تفتس وبرنامج "فض الصراع" بجامعة المونيت.

يدور الكتاب حول خيارات العالم بين السلام الذي يرمز له الكاتب بجنة عدن، وخيارات الحرب والدمار الذي يرمز له الكاتب بهول معركة "ارمجدون" والتي تمثل تدمير ونهاية العالم.

كما يحرص الكاتب في العنوان أن يضع فكرته الرئيسية تحت عنوان فرعى : مستقبل أديان العالم هل ستستخدم كأداه للعنف أو أداه لصناعة السلام ؟ والكتاب ينطلق من إيمان صاحبه أن عالمنا الذي يشهد تعددًا في الأديان، وتعددًا في الثقافات والذي أصبح عن طريق الاتصالات "كالقرية الواحدة" يتأثر بما يحدث هنا وهناك من حروب أو مشكلات، هذا العالم الجديد يمكن أن تلعب فيه الأديان دوراً قوياً لينعم بالحياة السعيدة من خلال تعاقون تلك الأديان على تحقيق ما فيه سعادة الإنسان في مجال الصحة وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية، والحرفيات الأساسية....الخ.

---

\* أستاذ أصول التربية في جامعة المنصورة.

ويتألم الكاتب للفهم الخاطئ للأديان والتي استخدمت كأداه لإثبات الذات ونفي الآخر بل والعدوان عليه. حدث ذلك في معظم الأديان وما زال يحدث حتى الآن. ولكنه لا يقتصر إطلاقاً برد هذه الصراعات إلى أسباب دينية بحتة بل يدعو إلى دراسة جميع أنواع الصراعات والحروب الدينية للكشف عن أسبابها الحقيقة الخفية المحركة لها: سواء أكانت أسباباً اقتصادية كالشعور بالغبن الاقتصادي، أم أسباباً اجتماعية (الشعور بالدونية الاجتماعية) أو أسباباً قبلية أو عرقية (الانتماء إلى قبيلة أو عرق) أو أسباباً شخصية تعود إلى المكاسب التي يتحققها رجال كل دين من وراء التعصب لأديانهم، فضلاً عن سوء التفسير الذي يلحق بالنصوص الدينية و يجعلها تمثل إلى العنف دون التسامح ونفي الآخر دون محاولة السمو بالإنسان كل إنسان مهما كان لونه أو جنسه أو دينه. ويشير الكاتب إلى سوء فهم العلمانيين للأديان وما يمكن أن تؤديه في خدمة السلام العالمي وعالمية الحياة الرغدة لبني الإنسان، ويدعو علماء العلوم الإنسانية بجميع فروعها إلى إعادة دراسة الأديان من حيث هي أدوات للإصلاح الأخلاقي في محاولة لاكتشاف تلك العناصر الإيجابية في تلك الأديان وكيف تسهم في صناعة عالمنا الجديد الذي تعيش فيه جميع الأديان في تسامح، وتعاون مع العلمانيين في إيجاد عالم تسود فيه قيم عالمية إنسانية مشتركة. ويؤكد المؤلف أن كل الحروب الدينية كان سببها سوء فهم النصوص الأصلية التي تدعوا في رأيه إلى الحب والسلام ويستشهد في ذلك بتفسيرات مختلفة للنصوص اليهودية والمسيحية والإسلامية والتي أسع فهمها فأثارت الحروب المدمرة خلال تاريخ البشرية الطويل. في نفس الوقت الذي وجد فيه علماء وجماعات يهودية ومسيحية وإسلامية فسرت تلك النصوص تفسيرات أكثر إنسانية وأكثر فهماً لروح الأديان التي تدعو وتركز على إصلاح جوانب الإنسان وسلوكه أكثر من اهتمامها بأي شيء آخر.

ويذكر الكاتب من استدعاءات تفسيرات يهودية ومسيحية وإسلامية تدعو إلى السلام والتعاون على الخير، كما يشير أيضاً إلى تفسيرات مقابلة تدعو إلى عكس ذلك تماماً ويفرد لذلك فصولاً من كتابه سواء في اليهودية أم المسيحية أم الإسلام وهي تفسيرات بالفعل تحتاج إلى مزيد من الدراسة، وإن أظهر الكاتب تخيزاً واضحاً للدعوة اليهودية إلى السلام وجعل من نبي الله هارون صانع السلام المثالى اليهودي إذ كان يذهب إلى كل متخصص ويذكر له مقدار أسف الآخر وحزنه وشعوره بالذنب نحو صديقه ثم يذهب للآخر ويقول

له الكلام نفسه حتى يصلح بينهم. ويرجع العنف اليهودي الحالي إلى ما تعرض له اليهود من اضطهاد وإعدام جماعي في الماضي، وما يتعرضون له حالياً داخل إسرائيل من عمليات فدائية فلسطينية مما لا يسمح لتلك المبادئ اليهودية السامية بالظهور، وما يقوى الأصولية اليهودية كأداة للحفاظ على الذات.

والكاتب الذي يبرر تلك الأصولية اليهودية ويدعو إلى دراسة غيرها من الأصوليات، ومحاولة نسف ما تحمله تلك الأصوليات من مبادئ تقاوم المبادئ والمثل العالمية التي يدعو إليها كما يقف طويلاً أمام كل حركة دينية وكل جماعة دينية تفسر الأصول تفسيراً عصرياً يقترب من تلك المبادئ والمثل العالمية التي يدعو إليها، ويرى أن السلام العالمي يتحقق من خلال نشر تلك التفسيرات الدينية الأكثر حداة وعصيرية - ولعله يقصد بالدرجة الأولى المسيحية والإسلام - وإن كان للإسلام مساحة أوسع من اهتمام الكاتب وخاصة دعوته إلى الجهاد والتي يحصرها الكاتب في الجهاد المسلح عكس ما هو معروف في كتب الفقه الإسلامي وأصوله. ويلمز تلك الحركات الإسلامية التي تدعو إلى البعث الإسلامي ويحاول أن يرد انتشارها وقوتها لأسباب غير دينية : أسباب اقتصادية واجتماعية وشخصية... الخ.

ويدي الكاتب إعجابه الشديد ب رجال دين يمثلون القدوة في حياتهم من أجل السلام مثل غاندي الذي كان هندوساً ومع ذلك كان يخدم كل مسيحي ومسلم، وداعي لاما في التبت، وماهاجوساندا في كمبوديا ومارتن لوثر كينج في الولايات المتحدة والأسقف الأعلى للبوذية الكمبودية : تيتو ويقف طويلاً عند جماعة اليونيت المعاصرین وكيف كانت مسيحيتهم دافعاً لهم إلى أن تحولوا إلى أكبر جماعة تعيش من أجل السلام العالمي في جميع القارات، من خلال الانتقال إلى بور الصراع العالمي، ومحاولة الحياة هناك من أجل الفهم العميق لجنور تلك الصراعات والمساهمة في إيجاد حلول جذرية: غالباً اقتصادية، وسياسية، واجتماعية، وشخصية وعرقية ما جعلهم أصحاب تجارب في ميدان حل المشكلات العالمية. ويسأله الكاتب عن مدى قدرة أسلوب اليونيت على حل المشكلات العالمية في المجتمعات غير مسيحية؟ (استخدم اليونيت بجوار الأساليب العلمانية أساليب روحية مثل الصلوات والدعوات والأناشيد والترانيم الدينية) كما يدي عدم رضاه الكامل عن ذهابهم إلى العراق لرفع المعاناة عن شعب العراق، وتعاطفهم مع

الفلسطينيين في معاناتهم ضد الاحتلال ويتساءل أيهما أكثر عدلاً أن يفعلوا ذلك أم يذهبوا إلى الكويت لرؤية جنایات صدام على الشعب الكويتي، ويعاطفوا مع اليهود لما يتعرضون له من عمليات فدائية مستمرة؟

وفي الفصل الأخير من الكتاب يرى ضرورة تعاون رجال الدين ورجال العلوم الإنسانية من أجل تطوير نظرية مشتركة لحل مشكلات العالم الصعبة (نظرية فض الصراع) والتي تقوم على احترام القيم الدينية المشتركة، بحيث يتفهم العلمانيون الجوانب الإيجابية من الأديان ويفهمون الأصوليون القيم الإنسانية في المجتمع العلماني المتعدد الأديان والأعراق. بحيث يتعاون المجتمع من خلال حلقات النقاش وورش العمل والتدريب على النظرية: نظرية فض الصراع من خلال حلقات النقاش وورش العمل والتدريب على مهارات فض الصراع واسراره الفرقاء – أطراف الصراع – في نشاطات تشبع الحاجات الحقيقة للناس : التعليم، الصحة، الغذاء، السكن... الخ. وإشاعة الحوار بينهم لاكتشاف نقاط الخلاف حتى يمكن إيجاد حلول لها، وتكريم الرموز من أطراف الصراع والتي تعمل على إيجاد حلول سلمية لتلك الصراعات. كيف يمكن لتلك الآليات أن تستخدم لفض الصراعات في العالم سواء على المستوى الإقليمي أم العالمي. ولا يملك القارئ لهذا الفصل إلا أن يقدر ويبارك هذا الحماس وهذا الجهد المبذول في هذا الاتجاه والذي يتطلع إليه الجميع لإيجاد حلول سلمية لتلك المشكلات المستعصية في البوسنة وكوسوفا والتبت وبورما والفلبين ونيكاراجوا وفلسطين. وللأسف فإن الجهد الإسلامي العالمي في هذا الميدان مازال مغرياً رغم ما يملكه الإسلام من قدرة على العطاء في هذا المجال : مجال خدمة السلام العالمي، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأخيراً فإنه ورغم أن الكتاب في بحمله دعوة إلى إعادة فهم الأديان من جانب العلمانيين لاكتشاف الجوانب الإيجابية في الأديان، ودعوة إلى إعادة فهم الصراعات الدينية التي حدثت ومازالت تحدث حتى الآن لمعرفة جذورها غير الدينية : وهي أساساً دينوية في الغالب، ورغم أن الكاتب يدعو إلى ضرورة الحوار بين جميع الأطراف لإيجاد نوع من الثقة والتفاهم بين البشر ويختم كتابه بتلك العبارة التي تعكس جوهر الفكرة التي يدور عليها الكتاب: بناء الثقة رسالة أخلاقية، هي فن ورثها منحة، وهي تتطلب معرفة قوية بالماضي

ورؤية شاملة للمستقبل، وهذا هو أساس جنة عدن المستقبل التي يمكن أن يصل إليها البشر.

أقول رغم اتفاقنا الكامل مع رؤية المؤلف لدور الأديان في صناعة السلام العالمي، إلا أن المؤلف يعلن أنه "علمي"، وأنه يرى أن الأديان يمكن أن تتعاون مع العلمانية من أجل القيم الإنسانية المشتركة. والسؤال الذي يوجه للكاتب : هل تستطيع العلمانية بالفعل بدون الأديان أن ترقى بالإنسانية؟ وأن تقييم المجتمع الإنساني المنشود بحيث يسود الحق والخير والجمال؟ أم أن العلمانية لن تستطيع أن تتحقق ذلك إلا من خلال الدين؟ وإذا كان الدين ضرورة : فائي دين؟ ألا تحتاجُ ذلك إلى علم مقارنة الأديان؟ وإلى حرية الدعوة إلى الدين الذي تراه البشرية أكثر صلاحاً وفلاحاً؟ ولماذا حرب العلمانية على الأديان؟

الأمر الآخر أن الكاتب الداعية إلى السلام العالمي، وبناء الثقة بين الشعوب والأديان لم يستطع أن يكتم تحizيه الواضح لليهود خلال صفحات عديدة من الكتاب إذ نراه في ص 41 يكاد يتميز غيظاً عندما يسمع فتاة جميلة أمريكية تهاجم اليهود كرمز للفساد والإفساد، ويشبهها بهتلر ويعجب هل يستطيع حوار الأديان أن يغير من اتجاه مثل هذه الفتاة؟ كما أنه في موضع آخر يدين الكنيسة بحججه صمتها على "الإبادة الجماعية" التي تعرض لها اليهود، بينما يكاد يرقص طرباً لتغيير الكنيسة الكاثوليكية اتجاهاتها نحو اليهود بما يمثل 8 مليون مسيحي يغبون اتجاهاتهم نحو اليهود وقطعاً نحن لا يمكن أن نلومه على ذلك طالما أعلن يهوديته بصرامة ووضوح خلال صفحات الكتاب ولكن يبقى السؤال الحقيقي إلى أي حد يستطيع صاحب دين حتى ولو أعلن أنه "علمي" أن يتخلّي عن تحizاته الدينية حتى وهو يمارس أشرف مهنة وهي مهنة صناعة السلام العالمي؟ حتى يمكن أن تكون ممارسة مهنة السلام العالمي مهنة رسالة بالفعل؟ مهنة إنسانية رفيعة؟ وليس مجرد أداة يمكن أن تحول في يد الأقوياء - حتى وبدون شعور منهم أحياناً - إلى أداة لقهر الشعوب وفرض إرادة الأقوياء عليهم، باسم "السلام العالمي"؟ أسئلة تحتاج إلى مزيد من الدراسة، ومزيد من التحليل لكل جهود السلام المبذولة حتى الآن لمعرفة آلياتها، ومدى كفاءة تلك الآليات، ومدى براعتها، ومدى فاعليتها. وإن كان هذا كله لا يقلل من جدوى مثل هذا الجهد المبذول، ولا من أهمية هذا الكتاب، وضرورة قراءته وذريعة وانتشاره.